معالجة الأزمات الاجتماعيَّة في الفكر الإسلامي «الحسد نموذجاً»

أ.د. حسن عبد الله حمد النّيل• / د. عبد الصمد علي عبد الصمد••

ملخـــص

جاء الإسلام شاملاً بتعاليمه السّمحة صالحاً لكل زمان ومكان مهما تباينت بيئاتهم، وتوالتّ عصورهم واشتمل على نظم وأحكام في مختلف نواحي الحياة لتنظيم علاقة الفرد بخالقه وعلاقته بالمجتمع الإسلامي واشتمل الفقه على أحكام ونظم لا توجد في غيره من الدّيانات السّابقة. وقد بات اختيارنا لموضوع البحث (معالجة الأزمات الاجتماعيَّة في الفكر الإسلامي الحسد نموذجًا) مستبطناً ببعض القضايا الأكثر شيوعاً بين النّاس في الوقت الحاضر ،نبعت مشكلة البحث أن الحسد بين النّاس بات مقلقًا مما نتج عنه عدم الهدوء والسّكينة في المجتمعات الإسلاميَّة، جاء الهدف من هذا البحث معالجات الأزمات الاجتماعية الحسد فإنَّه لا يتناسب مع الوحدة الإسلاميَّة المرتقبة، واتبع الباحثان المنهج العلمي الاستقرائي، والمنهج التّحليلي، ومن أهم النّتائج التّي توصل لها البحثان أن الحسد لا يأتي بالخير إطلاقًا فكل آفات المجتمع منه من قسوة للقلب وقلة في الإيمان، وآفة الحقد والغِل والكِبر والرّياء وغيرها ناتجة عنه.

• جامعة السّلطان قابوس(عُمان)، كلُية التّربية، قسم العلوم الإسلاميَّة.
•• جامعة السّودان للعلوم والتّكنولوجيا، معهد العلوم والبحوث الإسلاميَّة.

Abstract

Islam came comprehensive with its tolerant teachings, valid for every time and place, no matter how different their environments were, and their eras passed, and it included systems and provisions in various aspects of life to regulate the individual's relationship with his Creator and his relationship with the Islamic society. Jurisprudence included provisions and systems that are not found in other previous religions. Our choice of the topic of research (the treatment of social crises in Islamic thought, envy as a model) has become intrinsic to some of the most common issues among people at the present time. Treatments of social crises are not commensurate with the expected Islamic unity, and the researchers followed the inductive scientific method, and the analytical method, and one of the most important results reached by the two research is that envy does not bring good at all. resulting from it.

المبحث الأول

مقدمـــــة

الإنسان مع صغره وضعفه وعجزه وكونه حيواناً يحتوي على روح تبطن ميولًا لا حصر لها، ويحتوي على آمال لا نهاية لها، وأفكار غير محدودة، ونفس تجمع النّوازع المردية، والميول المريضة مع قوى لا حدود لها، وغرائز عجيبة؛ لكن تأتي العديد من الإشارات والتّعبيرات في السّنة التّي تدعو إلى التّخلي عن مثل هذه الميول التّي تنشأ نتيجة العناد والحسد والنّفاق والكراهية، والقيم المنخفضة التّي شأنها التّأثير في عمل المسلم؛ لا من جهة عدم قبول اللّه تعالى لعمله فقط، ولكن من جهة تدني قيمته وتسببه في انحطاط المسلمين كذلك؛ إذًا كلمَّا انتفى الإخلاص عن العمل تعرض صاحبه للإحباط والبطلان المؤدي إلى الانسلاخ عن الدّين الصحيح.

لا يمكن العيش بسلام ووئام في مجتمع إلا بالمحافظة على التّوازن القائم بين الخواص والعوام، أي بين الأغنياء والفقراء، وأساس هذا التّوازن هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص فالكلمة الأولى قد ساقت الخواص إلى الظلم والفساد، ودفعت الكلمة الثّانية العوام إلى الحقد والحسد فسلبت البشرية الرّاحة والأمان لعصور خلت كما هو في هذا العصر[1].

مشكلة البحث:

تعاني المجتمعات بصفة عامة من مشكلات اجتماعية وعقائدية كثيرة ومتعددة تؤثر على الترابط الاجتماعي بصورة كبيرة ومن أهم هذه المشكلات هي الحسد الذي يعني تمني زوال النعمة من الآخرين . ولما كان هذا الأمر بهذه الخطورة قد استشعر الباحثان أهمية هذا الموضوع ومن إيجاد حلول لهذه المشكلة وتتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس ما هو الحسد وآثاره على المجتمع الإسلامي ؟ وتتفرع منه الأسئلة الآتية:

(١) محيو.

١/ ما ظاهرة الحسد التي انتشرت في العالم الإسلامي ؟

٢/ ما أسباب ظاهرة الحسد ؟

٣/ ما الأسباب التي تترتب على ظاهرة الحسد ؟

٤/ ما الحلول لهذه المشكلة وفقاً للتصور الإسلامي ؟

أهداف البحث:

هدف هذا البحث إلى تناول ظاهرة اجتماعية خطيرة تهدد المجتمع الإسلامي ألا وهي ظاهرة الحسد متناولاً أسبابها ومظاهرها ثم اقتراح حلول جذرية لها مستمدة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف .

أهمية البحث:

١/ تنبع أهمية هذا البحث لتناوله موضوع في غاية الخطورة

٢/ إيجاد حلول ومقترحات لحل البحث .

٣/ إظهار قدرة الفكر الإسلامي وحلوله لهذه المشكلات .

منهجية البحث:

اتبع الباحثان المنهج العلمي الاستقرائي، والمنهج التّحليلي .

هيكل البحث:

تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مطالب:

المبحث الأول: **خطة البحث .**

المبحث الثاني: **الحسد وينقسم إلى:**

المطلب الأول: **أقسام الحسد ومفاسده**

المطلب الثاني: **علاج الحسد**

خاتمة

النتائج والتوصيات

المبحث الثاني

المطلب الأول

الحسد أسامه ومفاسده وعلاماته وعلاجه

الحسد أشد إيلاماً للحاسد من المحسود حيث يحرق صاحبه بلهيبه، أمَّا المحسود فلا يمسه من الحسد شئ، أو يتضرر طفيفاً.

بحال ترد الحاسدين بغيظهم ... وتطرف عنا عين كل رقيب[1].

قال ابن الجوزي: الإنسان مجبول على حب التّرفع على جنسه، وإنما يتوجه الذّم إلى من عمل بمقتضى التّسخط على القدر أو ينتصب لذم المحسود، قال: وينبغي أن يكره ذلك من نفسه[2].

والإنسان إنْ كان حسيساً لا يقف عند إنكار الجميل، إنَّما يتعدّى ذلك فيكره مَنْ أحسن إليه ويحقد عليه، ذلك لأن الإنسان مجبول على حب النّفس والتّعالي والغطرسة، فإذا ما رأى مَنْ أحسن إليه كرهه؛ لأنه يدكُّ فيه كبرياء نفسه، ويَحدُّ من تعاليه.ومن هنا قالوا: «اتق شرَّ من أحسنت إليه» لماذا؟ لأنه يخزَى ساعة يراك، وهو يريد أنْ يتعالى، ووجودك يكسر عنده هذا التّعالي.

إذن: وطِّنْ نفسك على أن الجميل قد يُنكَر حتى لو كان فاعله رب العزة سبحانه، فلا يحزنك أنْ يُنكَر جميلك أنت.[3].

الحسد من الذّنوب العظام؛ لأنَّ اللّه تعالى نهى عنه وحرمه في كتابه على لسان رسوله فقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النساء: ٥٦]، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا،

(١) الثعالبي، يتيمة الدّهر، ج/١، ص١٧.

(٢) الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية لدى تلاميذه، سامي بن محمد بن جاد اللّه، دار عالم الفوائد للنشر والتّوزيع، مكة المكرمة – المملكة العربية السّعودية – الطّبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ، ج/٢، ١١١٩.

(٣) محمد متولي الشّعراوي، تفسير الشّعراوي، الخواطر، النّاشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ج/١٦، ١٠٠١٩.

وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ»[1]. الحسد هو أن الرّجل يكره رؤية النّعمة في بعض الأشياء على الآخرين ويتمنى نقلها إليه.

الحسد أخطر جهة من الأنانيَّة هي والغيرة، فإذا لم يكن العمل خالصاً لله وحده فإن الحسد يتدخل فيفسد العمل، وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النّفسية التّافهة، وترك ما يتصور خطأ أنَّه من العزة والكرامة.

كثرة الحسد في النّاس: هل كل النّاس تتلقى الحسد؟ لو كان الأمر كذلك فمن الحاسد؟ إذن: فقوله الحق: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ . . .﴾ [النساء: ٥٤]، إنَّما يعني أن هناك أناساً حاسدين، وآخرين محسودين، ولا تكون كلمة «النّاس» عامة شاملة لكل الأفراد إلا في حالة الحكم العام.

قال: عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ما من أحد عليه من اللّه نعمة إلا وله عليها حاسد، ولو كان الرّجل أقوم من القدح لقال قائل لولا[2].

إن حسد الحاسد يدل على أنَّه ساخط على ربه معترض عليه، لأنَّه أنعم على المحسود بما أنعم، واللّه لا يصيره سخط السّاخطين، ولا يحوّل مجارى نعمته حسد الحاسدين، فهو يختصّ من يشاء برحمته متى شاء، وهو ذو الفضل العظيم.

الحسد مرض قلبي، وعلة من العلل التّي تفسد القلب، وهو يذْهب نقاء قلب المؤمن إلى إخوانه المسلمين، فهذا الإنسان الحسود يتمنى أن تختفي النّعمة عنهم، سواء وصلت إليه أم لا، فهذا الحسود لا يحب لإخوته ما يحب لنفسه، وإلا فلماذا يحسدهم؟! فهذا يدل على خلل في عمل القلب الواجب عليه محبة الخير للمسلمين، وأما استحكام قوة الحسد في النّفوس فهذا هو الدّاء العضال غير القابل للشفاء يأكل الأخضر واليابس ويفرق الكلمة ويجعل المسلمين شيعاً وأحزاباً متباغضة، هذا العامل متمم لعامل العصبية البغيضة، التّي ابتليت بها العديد من النّفوس والقلوب

(١) أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، مكتبة الرّشد للنشر والتّوزيع بالرّياض بالتّعاون مع الدّار السّلفية ببومباي بالهند، ط/١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج/١٣، ٤٧٤.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد بن رشد، البيان والتّحصيل والشّرح والتّوجيه والتّعليل لمسائل المستخرجة، حققه: محمد حجي وآخرون، النّاشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطّبعة: الثّانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الغافلة؛ حيث أوجد لدى هؤلاء النّفور التّام والاستكبار الممقوت عن قبول الحق وتجاوز الخلافات التّي تحصل بين النّاس، وهو عاطفة سائدة، تسيطر على القلب والعمل، فقال تعالى مبيناً اتصافهم به: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذى بيّنا، ولهذا أمر اللّه سبحانه رسوله أن يستعيذ به من شره. وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقته الإنسانية.

إن أول خطأ يقع فيه الحاسد هو: ردّه لقدر اللّه في خلق اللّه، وثاني ما يصيبه أنه قبل أن ينال المحسود بشرّ منه؛ فقلبه يحترق حقداً. ولذلك قالوا: الحسد هو الذّنب أو الجريمة التّي تسبقها عقوبتها؛ لأن كل جريمة تتأخر عقوبتها عنها إلا الحسد، فقبل أن يرتكب الحاسد الحسد تناله العقوبة؛ لأن الحقد يحرق لبه وربما قال قائل: وما ذنب المحسود؟ . . ونقول: إن اللّه جعل في بعض خلقه داء يصيب النّاس، والحسد يصيبهم في نعمهم وفي عافيتهم(١).

الحقد والحسد ثغرتان في القلب:

لا يوجد مرض يكون سبباً لرد الحق من أول وهلة بعد معرفته أشد من الحسد، فهو داء عضال إذا استحكم في القلب مال به عن القصد وأوقعه في المهالك.

قال ابن تيمية رحمه اللّه: "فالبخل والحسد مرض يوجب بغض النّفس لما ينفعها، بل وحبها لما يضرها، ولهذا يقرن الحسد بالحقد والغضب"(٢).

والحسد هو الدّافع لأول ذنب عُصي اللّه به، حيث رفض إبليس السّجود لآدم حسداً له على ما أولاه اللّه من الكرامة بسجود الملائكة له، وكِبْراً أن يسجد لمن يرى نفسه أفضل منه.

(١) تفسير الشعراوي، الخواطر، ج/٤، ٢٣٢٣.
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج/١٠، ص١١٢.

وقد كانت أمهات المعاصي الكبار الدّافع إليها الحسد، فقد قص اللّه علينا ما كان من إبليس، وما كان من بني إسرائيل وتكذيبهم لنبيهم عليه الصلاة والسّلام، بل وعداوته وعداوة أتباعه، وأن الدّافع لذلك هو الحسد.

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

كما قص علينا أول حادث قتل بين بني آدم، وقد كان الدّافع إليه الحسد، "ولهذا قيل أول ذنب عصي اللّه به ثلاثة: الحرص، والكبر، والحسد، فالحرص من آدم، والكبر من إبليس، والحسد من قابيل حيث قتل هابيل". فأصول المعاصي ترجع إلى: شهوة، أو كبر، أو حسد:

والحسد كما أنَّه مضر بدين الحاسد، فهو أيضاً مرض اجتماعي يورث البغضاء بين أفراد المجتمع المسلم، ويحمل على البغي، أشار إلى أثره الاجتماعي الرّسول صلى اللّه عليه وسلم بقوله: "لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد اللّه إخواناً،(١) ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث(٢)"، وفي رواية: "وكونوا عباد اللّه إخواناً كما أمركم اللّه"(٣).

قوله: "وكونوا عباد اللّه إخواناً كما أمركم اللّه" دليل على أنَّهم إن سرت فيهم هذه الأدواء، لم يكونوا إخواناً كما أمرهم اللّه، مما يدل على أثرها في هدم أو إضعاف الأخوة الإيمانيَّة.

فأعوذ باللّه من الحاسد الذّي لا ينال من المجالسّ إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند النّزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً. وأفوض أمري إلى اللّطيف الخبير، إنه نعم المولى ونعم النّصير.

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم،وأخرجه البخاري، في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التّحاسد والتّدابر، حديث رقم (٦٠٦٥)،ج/١٠، ص٤٨١. وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التّحاسد والتّباغض والتّدابر حديث(٢٥٥٩)، ج/٤، ص١٩٨٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التّحاسد والتّباغض والتّدابر حديث(٢٥٥٩)، ج/٤، ص١٩٨٣.

(٣) الإمام مالك، الموطأ،ج/٢، ص٩٠٧.

فالظلم والبغي النّاتج عن الحقد والحسد عند الفقراء وخاصة الأقوياء منهم، هو مرض يقابل الشّح والحرص على المال الذّي يقوم في قلوب الأغنياء، فيحملهم على إمساك حقوق المال والظلم في تحصيله وإنفاقه، لذلك جمع الرّسول صلى اللّه عليه وسلم بينهما فقال: " اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشّح، فإن الشّح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم "(١).

وينتج عن هذين الأمرين: حقد وحسد الفقير، وشح الغني، وهو داء اجتماعي خبيث بمثابة السّرطان الذّي يفتك بالأبدان، ألا وهو تغير القلوب وتنافرها وتباغضها، مما يؤدي إلى تسلط وتآمر بعض المسلمين على بعض.

وقد استغل الحاقدون على الإسلام المتربصون بأهله، وجود هذا الدّاء بين أفراد المجتمع المسلم قديماً وحديثاً أسوأ استغلال لنشر المبادئ الهدامة والأفكار الخبيثة، والتّفريق بين المسلمين، ولعل آخرها الفكر الشّيوعي الذّي يقوم على تسليط الفقراء على الأغنياء مستثيراً كوامن الحسد والبغضاء المنتشرة بين المسلمين، بسبب البعد عن منهج اللّه، وضعف الإيمان وانتشار الجهل، وشح الأغنياء، وإمساك الزّكاة... ونحو ذلك.

وبهذا يتضح أن الحسد وما يتفرع عنه يشكلان ثغرات في قلاع القلب تنطلق منها دعوات الشّياطين لإفساد النّاس والدّين، وتؤدي أيضاً إلى أمراض اجتماعية أخرى مثل التّباغض والتّنازع والبغي، تؤدي إلى انهيارات في حصون المجتمع المسلم، وتكشف عن ظهورهم لعدوهم، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

كاد الحسد أن يسبق القدر:

كاد الحسد في قلب الحاسد أن يغلب القدر فلا يرى أن النّعمة التّي حسد عليها إنَّما صارت إليه بقضاء اللّه وقدره عن أبي هريرة كل بني آدم حسودبعض

(١) أخرجه الإمام مسلم، حديث رقم (٢٥٧٨)، ج/٨، ص١٨.

النّاس أكثر موهبة في الحسد من الآخرين ولا يضر حاسداً حسده ما لم يتكلم باللّسان أو يعمل باليد[1]. وأن هناك اعتراضاً على قدر اللّه عز وجل وقضائه وإلا فمن الذّي أنعم على هذا الرّجل اللّه عز وجل فإذا كرهت ذلك فقد كرهت قضاء اللّه وقدره ومعلوم أن الإنسان إذا كره قضاء اللّه وقدره فإنه على خطر في دينه أنه شر الحسد لأنه يريد أن يزاحم رب الأرباب جل وعلا في تدبيره وتقديره، ومن مفاسد الحسد أنه كلما أنعم اللّه على عباده نعمة تهب نار الحسد في قلبه، وهو دائم الحزن لأن نعم اللّه على العباد لا تحصى وهو رجل خبيث كلما أنعم اللّه على عبده نعمة غلى ذلك الحسد في قلبه حتى يحرقه، ومن عيوبه يمنع الرّجل من متابعة الأشياء المفيدة لأنَّه دائم التّفكير في كيف جاء هذا الرّجل مال كيف جاءه علم كيف... وما أشبه ذلك فتجده دائمًا متحسرا منطويًا على نفسه ليس له هم إلا تتبع نعم اللّه على العبيد وتغميطهم، ومن مفاسد الحسد أنه ينبئ عن نفس شريرة ضيقة لا تحب الخير فتصبح نفساً أنانية تريد أن يكون لها كل شيء، ومن مفاسد الحسد أيضًا أنَّه لا يمكن أن يغير شيئا مما قضاه اللّه عز وجل أبدًا مهما عملت ومهما كرهت ومهما سعيت لإخوانك في إزالة نعم اللّه عليهم فإنك لا تستطيع شيئًا.

فإذا وجدت في قلبك حسداً على المسلمين جماعات أو أفراداً فاعلم أن في قلبك خصلة من خصال اليهود والعياذ باللّه، فطهر قلبك من هذا الحسد، واعلم أن هذا الخير الذّي فيه غيرك إنَّما هو فضل من اللّه فلا تعترض على فضل اللّه ولا تكره تقدير اللّه: قال تعالى: أم يحسدون النّاس على ما آتاهم اللّه من فضله وقال عنهم: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ، فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

(١) أخرجه القيسراني في تذكرة الحفاظ، ج/٣، ص١٠٤٢، وقال: غريب منكر.

لما أحب النّاس الدّنيا وكرهوا الآخرة، دبت الكراهية بين النّاس، وساد الحقد والغل وحب الذّات، وانتشر الحسد، فأصبح الواحد يبحث عن وسيلة يؤذي بها الآخر دون أن يعرف لأنَّه يخاف من عقاب النّاس، ولا يخاف من عقاب اللّه، فلا يرى أن النّعمة التّي حسده عليها إنَّما صارت له بقدر اللّه وقضائه، فلا تزول عنه إلا بقضاء اللّه وقدره، وغرض الحاسد ومراده وشهوته زوال نعمة المحسود. ألا ترى إلى ما روي عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «ما من مؤمن إلا وفيه حسد، ثم قال: « فذهاب حسده أن لا يبغي أخاه غائلة »[1]، فأخبر أن الحاسد يعمل في إزالة النّعمة من المحسود، ولو تحقق معرفته بالقدر لم يحسده، ولرجع إلى اللّه تعالى في الاستسلام له، والانقياد لحكمه، ورضي بقدره الذّي يعلم أنه لا يرده أحد.

الحسد قسمان:

قال أبوبكر الرّازي: إن الحسد أحد العوارض الرّديّة ويتولد من اجتماع البخل والشّره في النّفس. والمتكلمون في إصلاح الأخلاق يسمون الشّرير مَن يلتذّ طباعاً مَضارَّ تقع بالنّاس ويكره ما وقع بموافقتهم وإن كانوا لم يَترُوه ولم يَسوؤه، كما أنهم يسمون الخير مَن أحبّ والتّذّ ما وقع بوفاق النّاس ونفعهم. والحسد شرّ من البخل لأن البخيل إنَّما لا يحب ولا يرى أن ينيل أحداً شيئاً مما يملكه ويحويه، والحسود يحب أن لا ينال أحد خيرً بتّةً ولو مما لا يملكه، وهو داء من أدواء النّفس عظيم الأذى لها. ومما يدفع به أن يتأمل العاقل الحسد، فأنه سيجد له من رسم الشّرير حظاً وافراً إذ كان الحسود يُرسم بأنه كاره لِما وقع بوفاق مَن لم يَترْه ولم يُسِئْ به. وهذا شطرٌ من حدّ الشّرَّير، الشّرَّير مستحق للمقت من البارئ ومن النّاس. أما من البارئ فلأنه مضادّ له في إرادته إذ هو عزّ اسمه المفضَّلُ على الكل المريدُ الخيرَ للكل. وأما من النّاس فلأنه مُبغض ظالم لهم، فإن مَن أحب وقوع المكروه بإنسان ما أو لم يحب وصول خير إليه مبغض له. فإن كان هذا الإنسان مّمّن لم يَترْه

(١) الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، النّاشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج/١، ص٥٦.

ولم يُسِئْ به فإنه مع ذلك ظالم له[١].

وهو قسمان: حقيقي ومجازي فالحقيقي تمني زوال النّعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة مع النّصوص الصحيحة وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النّعمة التّى على غيره من غير زوالها عن صاحبها فإن كانت من أمور الدّنيا كانت مباحة وإن كانت طاعة فهي مستحبة.

قال الإمام النّووي رحمه اللّه: في كتابه رياض الصالحين في باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله في الأحاديث الواردة في فضل العلم سبق حديث معاوية رضي اللّه عنه من يرد اللّه به خيرا يفقهه في الدّين[٢].

ثم ذكر حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه أن النّبي صلى اللّه عليه وسلم قال: "لا حسد إلا في اثنتين"[٣]الحسد يطلق ويراد به الحسد المحرم الذّي هو من كبائر الذّنوب، هو أن يكره الإنسان ما أنعمه اللّه على غيره تجد إنساناً عنده مال فتكره تقول: ليت اللّه ما رزقه، لديه علماً تكرهه وتتمنى أن لا يبارك اللّه في علمه، عنده أولاد صالحون تكره ذلك وتتمنى أن ليت اللّه لم يرزقه، وهلم جرا هذا النّوع من الحسد من الخطايا الكبرى.

أبو العباس عن ابن الأعرابي قال: الحَسْدَلُ: القُرَادُ، قال: ومنه أُخذ الحسد لأنه يَقْشِرُ القَلْب كما يَقْشر القُراد الجلد فيمتص دمه[٤].

أما النّوع الثّاني: الغبطة وهي الدّرجة الأولى من الحسد؛ النّاس يغبط بعضهم بعضاً على ما آتاهم اللّه من النّعم يقول: ما شاء اللّه فلان أعطاه اللّه كذا فلان أعطاه اللّه كذا حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه، عن النّبي صلى اللّه عليه وسلم قال: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللّه مالا فسلطه على هلكته في الحق،

(١) الرّازي، أبو بكر، محمد بن زكريا، رسائل فلسفية، تحقيق: لجنة إحياء التّراث العربي في دار الآفاق الجديدة، النّاشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة: الخامسة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ج/١، ص٤٨.

(٢) النّووي، رياض الصالحين، المحقق : ماهر ياسين الفحل، ج/٢، ص١١٧.

(٣) أخرجه البخاري، في باب إنفاق المال فى حقه، حديث رقم(١٤٠٩)، ج/٥، ص٣٦١.

(٤) الأزهري الهروي، محمد بن أحمد، تهذيب اللّغة، المحقق: محمد عوض مرعب، النّاشر: دار إحياء التّراث العربي بيروت، الطّبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ج/٤، ص١٦٤.

ورجل آتاه اللّه حكمة فهو يقضي بها ويعلمها"[1]الغبطة الحقيقية التّي يغبط عليها الإنسان شيئان:

الأول: فهو رجل آتاه اللّه مالا فسلطه على هلكته في الحق يعني صار يبذل ماله فيما يرضي اللّه عز وجل، ولا يبذله في حرام، ولا يبذله في لغو، وإنما يبذله فيما يرضي اللّه. سلطه اللّه على هلكته يعني على إنفاقه في وجوه البر والمعروف والإنفاق في سبيل اللّه هذا ممن يغبط. ونحن لا نغبط من عنده مال كثيرلكنه بخيل لا يفيده ماله بل نتحسر له، ونقول هذا الفقير كيف يمكن أن يجيب على حساب يوم القيامة على هذه الأموال من أين حصل عليها وكيف تصرف فيها؟ولا نغبط إنسانا آتاه اللّه مالا فسلطه على هلكته في المسرات نحن لا نغبطه على هذا بل نقول هذا مفرط، وإذا تجاوز الحد فيما ينفق نقول هذا مسرف، واللّه لا يحب المسرفين.

أما الثّاني: العلم النّافع وهو المراد بقوله: رجل آتاه اللّه الحكمة فهو يقض بها، والحكمة إذا تتبعتَها في مواردها في النّصوص أحياناً تأتي ويراد بها النّبوة، وأحياناً تأتي ويراد بها القرآن، وذلك أنه جاء بنحو هذا الحديث من حديث ابن عمر رضي عنهما في الصحيحين عن النّبي صلى اللّه عليه وسلم: "لا حسد إلا في اثنتين، فذكر الرّجل الذّي آتاه اللّه القرآن فهو يقوم به آناء اللّيل وآناء النّهار"[2] وأحياناً تأتي ويراد بها السّنة لاسيما إذا ذُكرت مع القرآن ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١١٣]، وأحياناً تأتي بمعنى الفقه في الدّين، وأصلها في كلام العرب من المنع وتدور مواردها على ذلك؛ ولذلك يقال: هي الإصابة في القول والرّأي والعمل، الإصابة، ولذلك هي صفة تمنع صاحبها من الشّطط والخطل في الرّأي، والقول والعمل، فتكون آراؤه وأقواله وأفعاله واقعة على وجه الصواب، ومدار ذلك جميعاً يرتبط بالعلم فحينما يقول النّبيصلى اللّه عليه وسلم: ورجل آتاه

(١) أخرجه البخاري، في باب اغتباط صاحب القرآن، حديث رقم(٥٠٢٥)، ج/١٧، ص٢٤.

(٢) أخرجه البخاري، في باب قول النّبىصلى الله عليه وسلم « رجل آتاه اللّه القرآن فهو يقوم به آناء اللّيل والنّهار ، حديث رقم(٧٥٢٨)، ج/٢٤، ص٤٠٣.

اللّه حكمة فهو يقضي بها ويعلمها، ويعلمها هذا العلم إذا من اللّه على إنسان بعلم فصار يقضي به بين النّاس سواء كان قاضيا أو غير قاضي وكذلك يقضي به في نفسه وعلى نفسه ويعلم النّاس فهذا هو الغبطة لأن العلم هو أنفع شيء أنفع من المال أنفع للإنسان من الأعمال الصالحة العلم لأنه إذا مات وانتفع النّاس بعلمه جرى ذلك عليه إلى يوم القيامة كل ما انتفع به أي إنسان من النّاس فله أجر العلم كل ما أنفقت منه وعلمته ازداد ولهذا من أقوى ما يثبت العلم ويبقي حفظه أن يعلمه الإنسان غيره لأن اللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه فإذا علمت غيرك علمك اللّه وإذا علمت غيرك ثبت العلم في نفسك.

مفاسد الحسد:

واعلم أن في الحسد مفاسد كثيرة منها:

إنَّه مشابه لليهود، شر خلق اللّه وأخبثهم وأخس عباده جّعل اللّه منهم القردة والخنازير وعبدت الطّاغوت، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وفي هذه الآية دليل على خبث نفسهم الحاسدة.

ومن مفاسده أنَّه ربما يترقى بالإنسان إلى أن يصل إلى درجة العائن، والعائن أصله أن نفسه شريرة حاسدة حاقدة إذا رأى ما يعجبه انطلقت من هذه النّفس الخبيثة مثل السّهام حتى يصيب بالعين، فالإنسان إذا حسد وصار فيه نوع من الحسد فإنه يترقى به الأمر حتى يكون من أهل العيون الذّين يؤذون النّاس بأعينهم قال ابن القيم: العين سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة، فإن صادفته مكشوفاً لا وقاية عليه، أثرت فيه ولا بد، وإن صادفته حذراً شاكي السّلاح لا منفذ فيه للسهام لم تؤثر فيه[1].

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، النّاشر: مؤسسة الرّسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السّابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج/٤، ص١٥٤.

ولا يقتصر أثر العين على البشر بل يقع على الجماد والحيوانات كذلك، ولا شك أن العائن عليه من الوبال والنّقمة بقدر ما ضر العباد إن ضرهم بأموالهم فعليه من ذلك إثم أو بأبدانهم أو بمجتمعهم ولهذا ذهب كثير من أهل العلم إلى تضمين العائن[1] كل ما أتلف يعني إذا نحت أحدًا وأتلف شيئًا من ماله أو أولاده أو غيرهم فإنَّه يضمن كما أنَّهم قالوا إن من اشتهر بذلك فإنَّه يجب أن يحبس إلا أن يتوب يحبس اتقاء شره لأنَّه يؤذي النّاس ويضرهم فيحبس كفا لشره.

ومن مفاسد الحسد أنَّه يؤدي إلى تفرق المسلمين لأن الحاسد مكروه عند النّاس مبغض والإنسان الطّيب القلب الذّي يحب لإخوانه ما يحبه لنفسه تجده محبوباً من النّاس الكل يحبه ولهذا دائما نقول واللّه فلان هذا طيب ما في قلبه حسد وفلان رجل خبيث حسود وحقود.

ومن مفاسده استحكام الفرقة بين المسلمين وبغي بعضهم على بعض وظهور العداوة والبغضاء، وغير ذلك من المفاسد التّي لا يعلمها إلا اللّه. وفي التّاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة على مدى الضرر الذّي لحق بوحدة الأمة الإسلامية من جراء الحسد قديماً وحديثاً، فقد ورد عن بعض العلماء أن ما حصل بين ربيعة ومضر في الزّمن القديم من العداوة والحروب إنَّما كان ناشئاً عن الحسد لمضر؛ لمكان النّبوة فيهم، ومن هنا قال المأمون فيما يذكر عنه: "لو خرج اثنان ثائران لكان أحدهما من ربيعة"[2]، وتقدم قول أهل العصبية السّخيفة: "كذاب ربيعة خير من صادق مضر"[3].

وبهذا نعرف حكمة النّبي صلى اللّه عليه وسلم حيث قال لا تحاسدوا أي لا يحسد بعضكم بعضا فإن قال قائل ربما يجد الإنسان في نفسه أنه يحب أن يتقدم على غيره في الخير فهل هذا من الحسد فالجواب أن ذلك ليس من الحسد بل هذا من

(١) العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح رياض الصالحين، ج/١، ص٢٦٩.
(٢) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التّميمي الأسفراييني، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة النّاجية، النّاشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطّبعة: الثّانية، ١٩٧٧م، ص٣٠١.
(٣) جلال الدّين السّيوطي،جلال الدّين السّيوطي، ج/٣، ص٣٦٠.

التّنافس في الخيرات قال اللّه تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]، وقال تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، فإذا أحب الإنسان أن يتقدم على غيره في الخير فهذا ليس من الحسد في شيء الحسد أن يكره الخير لغيره واعلم أن للحسد علامات(١).

علامات الحسد:

منها أن الحاسد يحب دائماً إخفاء فضائل الآخرين. إذا كان للرجل مال ينفقه في سبيل الصدقات وبناء المساجد وإصلاح الطّرق، وشراء الكتب، ويوقفه على طلاب العلم، وغير ذلك فتجد هذا الرّجل الحسود إذا تحدث النّاس على هذا المحسن يسكت وكأنه لم يسمع شيئاً. هذا لا شك أن عنده حسداً لأن الذّي يحب الخير يحب نشر الخير للغير فإذا رأيت الرّجل إذا تكلم عن أهل الخير بإنصاف وأثنى عليهم وقال هذا فيه خير وهذا محسن وهذا كريم فهذا يدل على طيب قلبه وسلامته من الحسد.

ثم إن الحسد جمرة في القلب والعياذ باللّه كلما أنعم اللّه على عبده نعمة احترق هذا القلب حيث أنعم اللّه تعالى على عباده فتجده دائما في نكد ودائما في قلق.

وهو من أعمال القلب، وقد قال صلى اللّه عليه وسلم: "لا يَجتَمِعانِ في قلْبِ عبدٍ: الإيمانُ والحسَدُ"، فلا يتصور خلو القلب من الحسد مع وجود آثاره ودلائله على الجوارح، كما لا يستطيع أحد أن يدعي أن فلانا حسود مع عجزه عن الإتيان بدليل ظاهر من عمله. وقد أخبرنا اللّه تعالى عن أخوة يوسف وما صنعوا بأخيهم حسدا له على مكانته من أبيه، ومن المحال أن يصدر منهم هذا مع خلو قلوبهم من الحسد، إذ إن أعمال الجوارح إنَّما هي تنفيذ وتحقيق لإرادة القلب الجازمة، فوجودها في الحالة السّوية – أي حالة عدم الإكراه ونحوه – يقطع بوجود أصلها

(١) العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح رياض الصالحين، ج/١، ص٢٦٩.

القلبي. وهذا بخلاف اتهام المنافقين للصحابة رضي اللّه عنهم، الذّي أخبر اللّه عنه بقوله: ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ [الفتح: ١٥]، لأنَّ المنافقين ادعوا أن مانع المؤمنين من استصحابهم إياهم إلى المغانم هو الحسد، وهي تهمة لم يأتوا عليها بدليل إلا المنع نفسه، واللّه تعالى أمر المؤمنين أن يقولوا لهم: ﴿ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ [الفتح: ١٥]، فهذا سبب المنع، فإذا اتهمهم أولئك بعد هذا بالحسد لم يكن لهذا الاتهام موقع.

داء كامن في النّفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه، وأوتي ما لم يؤتَ نظيره، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه، وهل منع إبليس من السّجود لآدم إلا الحسد؟! فإنه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه؛ غض بريقهواختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة. وهذا الدّاء هو الذّي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم، وقد علموا علمًا لا شك فيه أنه رسول اللّه جاء بالبينات والهدى، فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان، وأطبقوا عليه، وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزّهّاد، والقضاة والملوك والأمراء، هذا وقد جاء المسيح بحكم التّوراة ولم يأت بشريعة تخالفها ولم يقاتلهم وإنما أتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفاً ورحمة وإحساناً، وجاء مكمّلاً لشريعة التّوراة، ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الإيمان. فكيف يكون حالهم مع نبيّ جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشّرائع، مبكتاً لهم بقبائحهم، ومنادياً على فضائحهم، ومخرجاً لهم من ديارهم، وقد قاتلوه وحاربوه وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم، ويعلو هو وأصحابه، وهم معه دائماً في سفاك؟ فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم؟ وأين تقع حالهم معه من حالهم مع المسيح، وقد أطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم الهدى، وهذا السّبب وحده كاف في رد الحق.

كلما ظهر شخص في نعمة كثر حساده، هذه قاعدة مطردة. متى رأيت شخص في نعمة فاعلم أن الحسد أمامه.

الحسد ظلم، وإنما عد الحسد ظلما، لأن الظلم معناه المعاملة التّي تبعد عن الحق وتجافيه. والحسد معناه تمنى زوال النّعمة عن الغير والظالم والحاسد قد جانب كل منهما الحق فيما صنع، والحاسد لن يناله نفع من زوال نعمة المحسود، كما أنه لن يناله ضر من بقائها، وما دام الأمر كذلك فالحاسد ظالم للمحسود بتمني زوال النّعمة وصدق الشّاعر في قوله:

وأظلم خلق اللّه من بات حاسدا •• لمن بات في نعمائه يتقلب

فاليهود قد كفروا بما أنزل اللّه، من أجل حسدهم للنبي صلى اللّه عليه وسلم على النّبوة ولأنه لم يكن منهم وكان من العرب، وكراهية لأن ينزل اللّه الوحى على من يصطفيه للرسالة من غيرهم، فعدم إيمانهم بما عرفوه وارتقبوه سببه أنانيتهم البغيضة، وأثرتهم الذّميمة التّي حملتهم على أن يحسدوا النّاس على ما آتاهم اللّه من فضله، وأن يتوهموا أن النّبوة مقصورة عليهم، فليس لله- تعالى- في زعمهم- أن ينزعها من ذرية إسحاق ليجعلها في ذرية إسماعيل عليهما السّلام. ولم يصرح- سبحانه- بأن المحسود هو النّبي صلى اللّه عليه وسلم لعلم ذلك من سياق الآيات الكريمة وللتنبيه على أن الحسد في ذاته مذموم كيفما كان حال المحسود. ثم بين- سبحانه- بعد ذلك ما آل إليه أمرهم من خسران مبين فقال تعالى: ﴿فَبَآءُوا۟ بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]، فرجعوا من أجل كفرهم وحسدهم للنبي صلى اللّه عليه وسلم بغضب مضموم إلى غضب آخر كانوا قد استحقوه بسبب كفرهم بعيسى- عليه السّلام- وبسبب تحريفهم للكلم عن مواضعه.

الحسد هو الذّنب أو الجريمة التّي تسبقها عقوبتها:

كل جريمة تتأخر عقوبتها عنها إلا الحسد، فقبل أن يرتكب الحاسد الحسد تناله العقوبة؛ لأن الحقد يحرق لبه وربما قال قائل: وما ذنب المحسود؟.. ونقول:

إن اللّه جعل في بعض خلقه داء يصيب النّاس، والحسد يصيبهم في نعمهم وفي عافيتهم.

وفي الحسد أنك جمعت بين خسار الدّنيا بحسدك له على نعمته وكونه معذباً بالحسد وخسارة الآخرة ؛ لأنك نصرته بإهداء حسناتك إليه أو طرح سيئاته عليك فصرت صديقه وعدو نفسك فجمعت إلى خبث حسدك جهل حماقتك، وربما كان ذلك منك سبب انتشار فضله كما قيل وإذا أراد اللّه نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود وفي قصد المباهاة وتزكية النّفس أنك بما ذكرته فيه أبطلت فضلك عند اللّه وأنت لست على ثقة من اعتقاد النّاس فيك بل ربما مقتوك إذا عرفوك بثلب الأعراض وقبح الأغراض فقد بعت ما عند اللّه يقينا بما عند المخلوق العاجز وهما، وفي الاستهزاء أنك إذا أخزيت غيرك عند النّاس فقد أخزيت نفسك عند اللّه، وشتان ما بينهما، وعلاج بقية البواعث ظاهر مما تقرر فلا حاجة للإطالة به.الحسد وهو حرام ومعناه تألم القلب بنعمة اللّه على عباده وتمنى زوالها عن المنعم عليه فإن تمنى مثلها لنفسه.

المطلب الثاني

علاج الحسد

الإيمان مخلّص من الحقد والحسد:

إن الحقد والحسد –كغيرها من أمراض القلوب– انحرافات في صحة القلب نتيجة لتغذية من شرور الجاهلية، وعلاجها يكون بقطع مادة الشّر التّي تغذيه، وامداده بضدها من مادة الخير والصلاح.

قال ابن تيمية رحمه اللّه: "... فهكذا أمراض القلب يحتاج فيها إلى حفظ الصحة ابتداء وإلى إعادتها –إن عرض له المرض– دوماً، والصحة تحفظ بالمثل، والمرض يزول بالضد. فصحة القلب تحفظ باستعمال أمثال، وهو يراعي الأخلاق

الفاضلة، حيث يقوم على مبدأ التّعامل النّظيف الذّي ينمي الحب، ويشد رابطة الأخوة الإيمانيَّة بين أفراده، على حد قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢](١).

وبهذا يقطع الإسلام جذور المعاملات الباعثة على الحسد والحقد والبغضاء والفساد الخلقي والاجتماعي، فيمنع الكذب والغش والخداع، والغدر والغرر، ويحرم الاتجار بالفاحشة والرّذيلة والمتع السّيئة، والمسكرات والمخدرات، ويشدد في تحريم الرّبا لما ينتج عنه من الغبن واستغلال الفقراء والاحتكار والكساد الاقتصادي.

الحسد من شأنه التّأثير في عمل المسلم، لا من جهة عدم قبول اللّه تعالى لعمله فقط، ولكن من جهة تدني قيمته وتسببه في انحطاط المسلمين كذلك؛ إذ كلمَّا انتفى الإخلاص عن العمل تعرض صاحبه للإحباط والبطلان المؤدي إلى الانسلاخ عن الدّين الصحيح.

فما أحوج المسلمين إلى التّخلق بالإخلاص، بمعرفة أهميته وسبل تحقيقه وبواعثه وموانعه، ليصل المرء – في نهاية المطاف – بالتّربية والمجاهدة الدّائمة للنفس والهوى والشّيطان، إلى منزلة السّائرين إلى اللّه جل جلاله، أولئك الذّين يقولون ما قاله الرّسول ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

كلمات ابن القيم في الدّلالة على ذلك حين يقول:

ففي القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على اللّه. وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته. وفيه حزن لا يذهبه إلا السّرور بمعرفته وصدق معاملته.وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه. وفيه نيران حسرات: لا يطفئها إلا الرّضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.وفيه طلب شديد: لا

(١) ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، المحقق: أنور الباز – عامر الجزار، النّاشر: دار الوفاء، الطّبعة: الثّالثّة، ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م، ج/١٠، ص١٤٥.

يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه.وفيه فاقة: لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له. ولو أعطي الدّنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدا.."إن أصفى لذة وأنقى سعادة لحياتي هذه، إنَّما هو في الإيمان"[1].

الغبطة والحسد:

وروي عن ابن مسعود رضي اللّه عنه أنَّه قال: «لا حسد إلا في اثنين؛ رجل آتاه اللّه مالا فهو ينفقه في طاعة اللّه، ورجل آتاه اللّه علما فهو يعلمه النّاس ويقضي به»[2] الحديث بظاهره دليل على إباحة الحسد في هذين؛ لأنَّه استثناء من التّحريم إباحة، قال شيخ الإسلام: وليس الأمر كما يقتضيه ظاهر الحديث، والحسد حرام في هذين كما هو حرام في غيرهما، وإنَّما معنى الحديث؛ لا ينبغي للإنسان أن يحسد غيره، ولو حسد إنَّما يحسد في هذين لا لكون الحسد فيهما مباحًا، بل لمعنى آخر أن الإنسان إنَّما يحسد غيره عادة لنعمة يراها عليه، فيتمناها لنفسه، وما عدا هذين من أمور الدّنيا ليس بنعمة؛ لأن مآل ذلك سخط اللّه، والنّعمة ما يكون مآله رضا اللّه تعالى، وهذان مآلهما رضا اللّه فهما النّعمة دون ما سواهما، ثم بعض مشايخنا قالوا: الحسد المذموم أن يرى على غيره نعمة، فيتمنى زوال تلك النّعمة عن ذلك الغير، وكينونتها لنفسه، أمَّا لو تمناها لنفسه فذلك لا يسمى حسدًا، بل يسمى غبطة، وكان شيخ الإسلام يقول: لو تمنى تلك النّعمة بعينها لنفسه يكون حرامًا ومذمومًا؛ لأنَّه بمعنى الزّوال عن ذلك الغير، والأصل فيه قول اللّه تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]،[3] وعن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: لا أحسد إلا في اثنين رجل أتاه اللّه مالا فهو ينفقه في طاعة اللّه ورجل أتاه اللّه علما فهو يعلمه ويقضي به ومعناه الحسد يضر إلا في الاثنين فيكون في ذلك

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم باللّه البغدادي، النّاشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ ه/١٩٩٦م، ج/٣، ص١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري، في باب إنفاق المال فى حقه، حديث رقم(١٤٠٩)، ج/٥، ص٣٦١.

(٣) ابن مَازَةَ البخاري الحنفي أبو المعالي برهان الدّين محمود، المحيط البرهاني في الفقه النّعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي اللّه عنه، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي النّاشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٤ م. ج/٥، ص٣٨٣.

بيان أن الحسد مذموم يضر الحاسد إلا فيما استثناه فهو محمود في ذلك وهذا ليس بحسد في الحقيقة بل هو غبطة والغبطة محمودة فمعنى الحسد هو أن يتمنى الحاسد أن تذهب نعمة المحسود عنه ويتكلف لذلك ومعنى الغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ذلك من غير أن يتكلف ويتمنى ذهاب ذلك عنه وهذا في أمر الدّنيا غير مذموم ففي أمر الدّين أولى أن يكون محمودًا والذّي ينفق ماله في طاعة اللّه تعالى يكتسب الآخرة بدنياه والذّي يعلم ويقضي به بالحق يكتسب المحمدة في الدّنيا والثّواب في الآخرة فمن يتمنى لنفسه مثل ذلك يكون محمودًا على هذا المعنى فأما الحسد المذموم فهو ما قيل الحاسد جاحد لقضاء الواحد فهو أن يتكلف لذهاب ذلك عنه ويعتقد أن تلك نعمة في غير موضعها وإليه أشار رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في قوله "لا ينجو أحدكم من الحسد والظن والطّيرة" قيل وما المخلص من ذلك فقال صلى اللّه عليه وسلم "إذا حسدت فلا تبغ" أي لا تتكلف لإزالة النّعمة عن المنعم عليه "وإذا ظننت فلا تحقق وإذا نظرت فلا ترجع"(١).

(١) السّرخسي، شمس الدّين أبو بكر محمد بن أبي سهل، المبسوط للسرخسي، دراسة وتحقيق:خليل محي الدّين الميس، النّاشر:دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج/١٦، ص١٤٤.

خاتمــة

النّتائج:

١. الحسد هو الخطيئة الأولى التي عصى بها اللّه.

٢. الحسد والعداوة والبغضاء والرياء والفتنة، وكل الرذائل الأخرى منشؤها الاختلاط بالخلائق.

٣. الشخص الذي يحسد هو الذي يحب أن يأخذ ويسلب النّعم من غيره.

٤. الحسد مرض نفسي إشكالي، لكن يتم علاجه إلا بإتباع الآيات القرآنية وأحاديث السنة النبوية، وقد وصف الحكماء أنواعًا مختلفة من الشفاء فصلتها كتب السّنة وكتب الفقه النّفسي.

٥. عداوة الحسد أضرمت نيرانها في قلب الحسود قبل المحسود فيجب أن يعتبر بذلك من يأكل الحسد قلبه.

٦. إنَّ الحسد من آفات المجتمع التي تقضي على وحدته، وتقوض هيكله التضامني، واليوم نحن بأمس الحاجة إلى الوحدة والتضامن.

٧. الإيمان بالقضاء والقدر يبطل رذيلة الحسد.

٨. منشأ الحسد التّغافل عن النّعم،وهو لا يدري أنَّها من علاّم الغيوب لا يرسلها إلا لحكمة، فمن وسائل العلاج تلقين النّاشئ أن النّعم إنَّما ينالها بمشيئة العليم الحكيم.

٩. الحسد ضد الإِسلام فالإسلام يَجمّع ولا يُفرّق، والحسد يُفرق ولا يَجمع أبدًا .

١٠. جميع عيوب وآفات القلب ناتجة عن الحسد، مثل الحقد والجشع والغرور والنفاق وقسوة القلب وغيرها.

التوصيات:

١. إدراج موضوع الحسد ضمن مناهج التربية والتعليم .

٢. أن يركز الخطباء المساجد على موضوع الحسد وبيان خطورته على المجتمع.

٣. أن يربى الأبناء تربية توم على المساواة لأن التفرقة بين الأبناء تؤدي إلى الحسد.

المصادر والمراجع

١. ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، المحقق: أنور الباز عامر الجزار، النّاشر: دار الوفاء، الطّبعة: الثّالثّة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، النّاشر: مؤسسة الرّسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويتالطّبعة: السّابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

٣. ابن قيم الجوزية، مدارج السّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم باللّه البغدادي، النّاشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطّبعة: الثّالثّة، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م.

٤. أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، مكتبة الرّشد للنشر والتّوزيع بالرّياض بالتّعاون مع الدّار السّلفية ببومباي بالهند، ط/١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٥. الأزهري الهروي، محمد بن أحمد، تهذيب اللّغة، المحقق: محمد عوض مرعب، النّاشر: دار إحياء التّراث العربي بيروت، الطّبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٦. بديع الزّمان سعيد النّورسي، كليات رسائل النّور، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي.

٧. ابن مَازَةَ البخاري الحنفي أبو المعالي برهان الدّين محمود، المحيط البرهاني في الفقه النّعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي اللّه عنه، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، النّاشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٨. الثّعالبي،عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور، يتمة الدّهر في محاسن أهل العصر، المحقق: د. مفيد محمد قمحية.

٩. الرّازي، أبو بكر، محمد بن زكريا، رسائل فلسفية، تحقيق: لجنة إحياء التّراث العربي في دار الآفاق الجديدة، النّاشر: دار الآفاق الجديدة، بيروتالطّبعة: الخامسة، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م.

١٠. السّرخسي، شمس الدّين أبو بكر محمد بن أبي سهل، المبسوط للسرخسي، دراسة وتحقيق:خليل محي الدّين الميس،النّاشر:دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١١. سامي بن محمد بن جاد اللّه،الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية لدى تلاميذه، دار عالم الفوائد للنشر والتّوزيع، مكة المكرمة – المملكة العربية السّعوديةالطّبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ.

١٢. عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد اللّه البغدادي التّميمي الأسفراييني، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة النّاجية، النّاشر: دار الآفاق الجديدة – بيروتالطّبعة: الثّانية، ١٩٧٧م.

١٣. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح رياض الصالحين.

١٤. القرطبي، محمد بن أحمد بن رشد، البيان والتّحصيل والشّرح والتّوجيه والتّعليل لمسائل المستخرجة، حققه: محمد حجي وآخرون، النّاشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطّبعة: الثّانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٥. القيسرانى، محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي،تذكرة الحفاظ (أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السّلفي، النّاشر: دار الصميعي للنشر والتّوزيع، الرّياض، الطّبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٦. الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، النّاشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٧. مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، النّاشر: دار القلم، دمشق، الطّبعة: الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩١م، تحقيق: تقي الدّين النّدوي.

١٨. محمد بن إسماعيل الجعفي، الجامع الصحيح المختصر البخاري، النّاشر: دار ابن كثير، اليمامة بيروت، الطّبعة الثّالثّة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.تحقيق: مصطفى ديب البغا.

١٩. محمد متولي الشّعراوي، تفسير الشّعراوي، الخواطر، النّاشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٢٠. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النّيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، النّاشر: دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، الطّبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢١. النّووي، أبو زكريا محيي الدّين يحيى بن شرف، رياض الصالحين، تعليق وتحقيق: ماهر ياسين الفحل، النّاشر: دار ابن كثير للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق بيروت، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.